الاستدلال بالمعرب في القرآن الكريم

لإثبات دعوى بشرية مصدره عرض ونقد

د. عبد الرحيم خير الله عمر الشريف [●]

(●) أستاذ مساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن الكريم، جامعة الزرقاء الخاصة– الزرقاء– المملكة الأردنية الهاشمية.

ملخص البحث:

تسلط الدراسة الضوء على شبهات تثار حول مصدر القرآن الكريم في بعض الكتب والبحوث المعاصرة على شبكة الإنترنت، حيث استثمر مثيرو تلك الشبهات وجود ألفاظ ذات أصول غير عربية في القرآن الكريم، للاستدلال بها على زعمهم بوجود معلمين أجانب لرسول الله صلى الله عليه وسلم، كانوا هم المصدر الرئيس الملهم له بالقرآن الكريم وما فيه من تعاليم وقصص.

وانتهت الدراسة إلى أن الكلمات المعربة في القرآن الكريم، لم يدخلها رسول الله صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم؛ لأنها دخلت العربية قبل ولادته بعقود، ولا توجد في القرآن الكريم كلمات لا تعرفها العرب، بل نزل القرآن وفق ما عهده العرب وتداولوه، وأن المعرب في القرآن الكريم نادر.

وتقع الدراسة في مقدمة تشمل لمحة تاريخية حول تلك المسألة، ومطلبين: الأول: في عرض الدعوى وأدلتها، والثاني: في نقدها. وخاتمة: أجمل فيها الباحث أبرز النتائج والتوصيات التي آل إليها البحث.

تمهيد:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد.

فهذه دراسة تعالج –بالعرض والنقد– شبهة تثار في بعض مواقع الإنترنت غير الإسلامية، يزعم كتبتها أن محمد صلى الله عليه وسلم قد أتى بالقرآن الكريم من مصدر بشري هو معلمون أجانب، مستدلين على ذلك بوجود كلمات ذات أصل غير عربي في القرآن الكريم.

مشكلة الدراسة:

بعد انتشار الإنترنت واقتحامه البيوت والعقول بلا استئذان، أضحى استعماله في تشويه صورة الإسلام الوسيلة الأنجع و الأسرع الأسلم لمثيري الشبهات والطاعنين.

لذا وجب على طلبة العلم الشرعي ممارسة واجبهم في نصرة كتاب ربهم –جل جلاله– بالرد على تلك الشبهات وتفنيدها، بدراسة علمية متأنية، ومن تلك الشبهات المثارة: شبهة أن مصدر القرآن الكريم معلمون من غير العرب، بدليل وجود ألفاظ أعجمية فيه.

ولتكون الردود قوية، ووفق منهج نقد عملي موضوعي سليم، ينبغي في البداية فهم الشبهة المثارة حول مصدر القرآن الكريم، ومعرفة الحجج التي احتج بها مثيرو الشبهات، فذلك هو المدخل الطبيعي للرد عليها؛ ومن هنا بدأ منطلق هذه الدراسة للإجابة عن الأسئلة الآتية:

١. ما المقصود بالمعرب في القرآن الكريم؟

٢. ما وجه الاحتجاج بالمعرب في القرآن الكريم على الطعن بربانية مصدره؟

٣. ما الرد على الشبهات المثارة حول ربانية القرآن الكريم، والمستندة إلى مسألة المعرب؟

٤. ما أصل الكلمات المعربة الموجودة في القرآن الكريم؟

٥. كم نسبة الكلمات المعربة في القرآن الكريم إلى باقي الكلمات ذات الأصول العربية الخالصة؟

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى ما يلي:

١. عرض دعاوى الطاعنين في ربانية مصدر القرآن الكريم بوجود معلمين أجانب للرسول صلى الله عليه وسلم استناداً إلى المعرب في القرآن الكريم.

٢. بيان أبرز أسباب وجود الكلمات المعربة في القرآن الكريم.

٣. إثبات ربانية مصدر القرآن الكريم، وتهافت الشبهات المثارة حوله.

محددات الدراسة:

اقتصرت الدراسة على دراسة موضوع المعرب في القرآن الكريم من جهة نقض الاحتجاج به على بشرية مصدر القرآن الكريم؛ لذا فلن تعنى الدراسة بتوجيه جميع الكلمات التي زعم أنها معربة، ولا بالتوسع في عرض أبرز آراء العلماء المسلمين وغيرهم حول المعرب في القرآن الكريم، وإنما سيكتفى بما له صلة بالدراسة وحسب، وبخاصة تعليل وقوع المعرب في القرآن الكريم.

الدراسات السابقة:

تناولت أكثر الدراسات السابقة حكم القول بوجود معرب في القرآن الكريم، والترجيح بين الأقوال المتعارضة في هذه المسألة، وبعضها عني بحصر الكلمات التي قيل: إنها معربة، ومحاولة معرفة أصولها وفق منهج البحث العلمي، ومن هذه الدراسات:

- المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب، لجلال الدين السيوطي، وقام فيه بجمع ما سبق له كتابته حول المعرب، وبخاصة في كتابيه: الإتقان، والمزهر، وقد ابتدأ الكتاب بذكر آراء العلماء في مسألة المعرب في القرآن الكريم، وأدلتهم، ثم شرع في ذكر الكلمات المعربة في القرآن الكريم، وأخذ عليه التوسع والمبالغة في تعداد الكلمات التي قيل إنها معربة، كما سيتبين في هذه الدراسة.
- المعرب في القرآن الكريم، لمحمد السيد علي بلاسي، ويقع الكتاب في ٣٥٢ صفحة، تحدث في الفصل الأول عن اللغة العربية والدخيل، وذكر أبرز اللغات التي أثرت في العربية. ثم تناول في الفصل

الثاني آراء العلماء في المعرب، والرد على شبهات الخوري الحداد، ولويس عوض، وفي الفصل الثالث عدد أبرز الكلمات المعربة، مرتبا إياها بحسب حروف الهجاء، ثم درسها في ضوء علم اللغة المقارن.

وأقرب ما في الكتاب من هذه الدراسة هو: المبحث الثالث من الفصل الثاني (ص ١٢٥– ١٤٢) الذي أعده للرد على الشبهات حول المعرب، ولكنه تناولها من زاوية أخرى وهي: اتهام مثيري الشبهة لعلماء المسلمين بعدم الموضوعية؛ لأنهم أنكروا وجود المعرب بداعي التعصب الديني فقط، وبأن المعرب والغريب في القرآن الكريم دخله من باب تعجيز العرب لا إعجازهم.

غير أن الباحث تناول في هذه الدراسة الشبهات والأباطيل المتعلقة بالمعرب في القرآن الكريم من جهة استخدامه للطعن في ربانية مصدر القرآن الكريم، حيث يزعم الطاعنون أن معلمين من غير العرب هم مصدر الوحي.

وهناك دراسات أخرى تناولت جانبا من الموضوع، لكنها على غير خطة هذه الدراسة.

ومن أبرزها: "رسالة في تحقيق تعريب الكلمة الأعجمية"، لأحمد بن سليمان المعروف بابن كمال باشا، و"هل في القرآن أعجمي؟" لعلي فهمي خشيم، و"معرب القرآن عرب أصيل" لجاسر أبو صفية، و"المعرب والدخيل في اللغة العربية وآدابها" لمحمد التونجي، و"الإعلام بأصول الأعلام الواردة في قصص الأنبياء عليهم السلام" ل(ف. عبد الرحيم).

كما ينبغي التنبيه إلى وجود بعض الدراسات السابقة تناولت جزئيات من الموضوع، سيذكرها الباحث في مقدمة البحث حين يبين لمحة تاريخية حول اهتمام علماء المسلمين والمستشرقين بالموضوع نفسه، ولم تذكر هنا خشية التكرار.

منهج البحث في هذه الدراسة:

قام الباحث باستخدام المنهج الاستقرائي لحصر دعاوى المحتجين بالمعرب في القرآن الكريم على بشرية مصدره، ثم المنهج الوصفي لتوضيح حججهم ووجه الاحتجاج عليهم، ثم المنهج النقدي لنقد تلك الدعاوى وتفنيد حججها.

المقدمة:

المعرب: "لفظ –غير علم– استعمله العرب في معنى وضع له في غير لغتهم" [١].

واللفظ المعرب في القرآن الكريم هو: "ما أصله أعجمي، ثم عرب، أي: استعملته العرب نحو استعمالها لكلامها؛ فقيل له: معرب، توسطا بين العجمي والعربي" [٢].

وقد عنى علماء المسلمين بدراسة مسألة المعرب في القرآن الكريم، فذكرها الشافعي في الرسالة [٣]، وأبو عبيدة في مجاز القرآن [٤]، والطبري في مقدمة تفسيره [٥]، وابن عطية في مقدمة تفسيره [٦]، والقرطبي في مقدمة تفسيره [٧]، وابن فارس في الصاحبي [٨]، وأبرز كتب علوم القرآن الكريم، كفنون الأفنان لابن الجوزي [٩]، والبرهان للزركشي[١٠]، والإتقان للسيوطي [١].

---

(١) التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، ص ٦٦٥. وانظر: لسان العرب، ابن منظور ١/ ٥٨٨ (عرب).

(٢) شرح مختصر الروضة، الصرصري، ٢/ ٣٢.

(٣) انظر: ص ٤٢.

(٤) انظر: ١/ ١٧.

(٥) انظر: ١/ ١٣.

(٦) انظر: ١/ ٣٧.

(٧) انظر: ١/ ٦٨.

(٨) انظر: ص ٢٩.

(٩) انظر: ص ٣٩٣

(١٠) انظر: ١/ ٢٩١.

وظهرت كتب مستقلة عنيت بدراسة تلك المسألة، ومن أبرزها: كتاب المعرب من الكلام الأعجمي، لأبي منصور الجواليقي، وكتابا: المهذب فيما وقع في القرآن الكريم من المعرب، والمتوكلي فيما وافق من العربية اللغات الأعجمية لجلال الدين السيوطي، وكتاب شفاء الغليل لما في كلام العرب من الدخيل، لشهاب الدين الخفاجي.

وقد اختلف العلماء المسلمون بين مؤيد لوجود المعرب في القرآن الكريم ومعارض لذلك، فأنكر ذلك الشافعي، وأبو عبيدة، والطبري، وأيده الجواليقي، والسيوطي، والخفاجي [٢].

والراجح: أن المعرب وقع في القرآن الكريم من جهتين:

الأولى: الأعلام الأعجمية، كإلياس، وإليسع، وفرعون، وهامان.

والثانية: مسميات مكتشفات ومخترعات وصلت إلى العرب من غيرهم، كسندس، وإستبرق، وزنجبيل، وكافور.

أما ما سوى ذلك فهو عربي، أو مما أصله مشترك بين العربية وغيرها من لغات أصلها لغة أم واحدة، وبسط الأدلة على هذا الترجيح سيرد في ثنايا الدراسة بإذن الله تعالى.

أما عن بدايات الدراسات الأجنبية المثيرة للشبهات حول القرآن الكريم، استنادا إلى مسألة المعرب في القرآن الكريم: فأولها ما ورد في كتاب (تاريخ القرآن) الذي كتبه المستشرق الألماني (نولدكه) [٣] –وأصدره

---

(١) انظر: ص ٣٣٣.

(٢) لمزيد من التفصيل في الخلاف حول القضية وأدلة الطرفين، أنظر، مقدمة كتاب المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب، ص١– ٢، والإتقان في علوم القرآن، ص ٣٢٩. وكلاهما لجلال الدين السيوطي. وللباحثين المعاصرين، انظر: إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين الدرويش، ٩/ ٦٤ (تفسير سورة الزخرف)، والمعرب في القرآن الكريم، محمد بلاسي، ص ١٠٣– ١١٣.

(٣) تيودور نولدكه (Theodor Noldeke)، مستشرق ألماني، يعد شيخ المستشرقين، صاحب كتاب تاريخ القرآن، وهو في أصله أطروحة دكتواره، ثم توسع به مع تلميذه شفالي (Schwally)، ومع أنه تخصص في الدراسات العربية، إلا إنه لم يقم برحلة إلى البلاد العربية والإسلامية ،(ت. ١٩٢٠م). انظر: موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوين ص ٥٩٥.

عام ١٨٦٠م وهو في سن الخامسة والعشرين- حيث ذكر عددا من الكلمات القرآنية التي زعم أن مصدرها غير عربي، مثل كلمتي: "أمي" (١) و"أساطير" (٢) ومصدرهما عبري، وكلمة: "دين" ومصدرها فارسي، وكلمة "ملة" (٣) ومصدرها آرامي، وكلمة "فرقان" ومصدرها حبشي أو آرامي (٤)، وكلمة: "منافق" ومصدرها حبشي (٥).

كما كتب المستشرق (آرثر جيفري) (٦) موضوعا بعنوان: "الكلمات الأجنبية في القرآن" وطبع في المعهد الشرقي في (بارودا) ١٩٣٨م (٧).

كما تبع المستشرقين تلاميذهم العرب من الذين يزعمون الموضوعية والحياد، كسلامة موسى الذي أرجع عددا من ألفاظ القرآن الكريم إلى اللغة اليونانية القديمة، مثل كلمة "ميراث" زعم أن أصلها من (إريس) وهي كلمة يونانية بمعنى: "القاضي" (٨).

ومن أبرز كتب النصارى العرب حول الموضوع كتاب "غرائب اللغة العربية"، تأليف الأب رفائيل نخلة اليسوعي، وبابه الثالث بعنوان: "الكلمات الدخيلة في العربية" (٩).

---

(١) انظر: ص ١٤، حاشية: ٢٠.

(٢) انظر: ص ١٥، حاشية: ٣٠.

(٣) انظر: أصل كلمة "دين" وكلمة "ملة": ص ١٩ حاشية ٣٩.

(٤) انظر: ص ٣٢ حاشية ٩٦.

(٥) انظر: ص ٨٠ حاشية ٢٦٩.

(٦) آرثر جيفري (Arthur Geoffrey)، مستشرق أسترالي عين أستاذا في الجامعة الأمريكية في بيروت، ثم أستاذا في جامعة كولومبيا، ثم أستاذا للغات السامية في مدرسة اللغات الشرقية بالقاهرة، له عدة مؤلفات منها: تحقيق كتاب المصاحف لابن أبي داود، المفردات الأجنبية في القرآن وغيرها. انظر: آراء المستشرقين حول القرآن، عمر رضوان ١/ ١٤٣.

(٧) انظر :دفاع عن القرآن ضد منتقديه، عبد الرحمن بدوي، ص ١٤٦.

(٨) انظر: الحركة الفكرية ضد الإسلام، بركات دويدار، ص ١٩٥.

(٩) تحدث فصله الأول عن الكلمات التي اقتبسها العرب عن الآرامية، وذكر منها: بعير، بيت، تنور، نبي، ويل. وفصله الثاني: المقتبسة عن العبرية، وذكر منها: آمين، تابوت، جهنم، حج، شيطان، والثالث: المقتبسة عن الفارسية، وذكر منها: جناح، زمهرير، سجيل...

وأطال لويس عوض في كتابه "مقدمة في فقه اللغة العربية"، في التكلف بإرجاع كثير من ألفاظ الكلمات العربية إلى ألفاظ اللغة المصرية القديمة، وزعم أن سبب عدم قبول علماء الإسلام بوجود ألفاظ أعجمية في القرآن الكريم هو اعتبارهم لها بأنها نجسة لا تليق بقداسة القرآن (١). ومن الأمثلة على مزاعمه زعمه أن كلمة "صمد" في سورة الإخلاص تؤيد عقيدة التثليث عند النصارى؛ بدعوى أن أصل الكلمة متطور من كلمة "خمت" المصرية القديمة ومعناها: ثلاثة (٢). وقد ردت إدارة البحوث والنشر في الأزهر على تلك الدعوى سنة ١٩٨١م، مبينة أنها مجرد مزاعم وأوهام لا تجد الدليل العلمي، وتخالف الأدلة العقلية والتاريخية (٣).

وليست هذه الدراسة في مقام الرد على دعواهم غير الصحيحة في أصل تلك الألفاظ التي ذكروها، ويكفي الرجوع إلى كتب المعاجم الكبرى، أو كتاب معجم مقاييس اللغة لابن فارس؛ لبيان خطأ تلك الدعاوى، علما بأنه سيتم عرض أشباهها ثم نقدها في المطلبين التاليين.

المطلب الأول عرض الدعوى وأدلتها

يزعم عدد من مثيري الشبهات حول القرآن الكريم بأن كل المعرب في القرآن الكريم هو من فعل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فقيل، "إن محمد عربها من الألفاظ العبرية، والفارسية، والآشورية، واليونانية، والفينيقية، والبهلوية، والآرامية، والسريانية، والحبشية" (٤).

ولكن، لماذا قام محمد صلى الله عليه وسلم بذلك؟

---

(١) انظر: ص ٦٥.

(٢) انظر: ص ٣٠٥.

(٣) انظر: المأخذ رقم (٢) على كتاب "مقدمة في فقه اللغة العربية" الملحق بكتاب: "لويس عوض ومعاركه الأدبية" لنسيم حلمي، ص ٥١٦.

(٤) بحسب ما ورد في موقع مركز الكلمة المسيحي، صفحة ويب بعنوان (تعليقات على الإسلام، على الرابط: .http//www.alkalema.us/ta3liqat/ ta3liqar.htm

فالجواب: "استوردها النبي الأمي من أسفاره، وأقحمها؛ ليبهر الناس بعلمه الواسع بلغات الأعاجم" (١).واحتج آخرون بدعوى المشركين أن القرآن الكريم إفك من افتراء النبي الكريم، وأعانه عليه آخرون من غير العرب: "هنا كانت شهادة العرب المعاصرين أن تلك القصص كان محمد يسمعها وتملى عليه ويدرسها" (٢).

وجاء في موقع (مصادر الإسلام) -الذي استند إلى كتاب للمستشرق (سنكلير تسدل) يحمل العنوان نفسه- "من أراد معرفة حقيقة معنى هذه الكلمات القرآنية عليه أن يراجع قواميس اللغات العبرية والكلدية والسريانية" (٣).

كانت تلك أبرز الشبهات والتساؤلات المثارة في مواقع الإنترنت غير الإسلامية التي تحاول إثارة الشبهات حول ربانية مصدر القرآن الكريم، ومن ثم الطعن في صحة دين الإسلام، وفي المطلب التالي الدراسة النقدية لما ورد فيها.

المطلب الثاني الدراسة النقدية

أولا– أسئلة بين يدي الموضوع:

١. بما أن المعرب دليل بشرية مصدر القرآن الكريم، فلماذا لم يدع أحد من العرب القدرة على معارضة القرآن الكريم؟ أعجزت أمهات العرب أن يلدن مثل محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم؟ أليست

---

(١) بحسب ما ورد في موقع الكلمة المسيحي، صفحة ويب بعنوان (أكذوبة الإعجاز العلمي)، على الرابط : http//www.alkalema.net/meracl

(٢) بحسب ما ورد في موقع إسلاميات/ صفحة ويب بعنوان (دعوة للتفكير)، على الرابط: .http:/www.islameyat.com/Arabic/islameyat/da3wa/da3wal.htm

(٣) بحسب ما ورد في موقع نور الحياة/ صفحة ويب بعنوان (مصادر الإسلام)، على الرابط: http://www.light-of-life.com/arb/asources/title/htm.

ظروف الاستزادة من التعلم الكسبي، وكل الأسباب الدنيوية لأثرياء العرب وتجارهم كانت مهيأة لهم أكثر من سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فلماذا لم يدعوا النبوة ويعارضوا القرآن كما تحداهم؟

٢. لقد تتالت آيات الكريم في تحدي العرب على الإتيان بمثله، فلو كان القرآن الكريم سهل التعلم على يد معلمين أجانب، لم لم تستأجر قريش بعضاً منهم ليقوموا بهذا العمل ،فالذي يستطيعه آحاد الناس، يستطيعه غيره كيف وإن كان غيره أشد حاجة لذلك، وأوفر مالا وسلطانا؟

٣. هل من المعقول أن يكون سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم متقناً للألفاظ العبرية، والفارسية، والآشورية، واليونانية، والفينيقية، والبهلوية، والآرامية، والسريانية، والحبشية، وجميع لهجات العرب؟ (١)

إن ظروف اليتم والفقر وعدم الخروج من مكة قبل البعثة إلا مرتين، وفي كلتيهما لا يمكن أن يكون تعلم فيهما من خلال السفر تلك اللغات، كيف وإن أضيف إليه الحصار في شعب أبي طالب، ومراقبة مختلف الأعداء لكل حركاته.. ثم كثرة أعباء الدعوة، وإنشاء الدولة الإسلامية وإدارتها، والتعامل مع مختلف أصناف الأعداء من مشركين ومنافقين ويهود... كل تلك المشاغل تمنعه من طلب علم كسبي يسير، يمكنه من تعلم أساسيات القراءة والكتابة، فكيف بتعلم لغات شتى (ناهيك عن لهجاتها) في زمن قياسي، بلا قواميس مكتوبة، أو معلمين معروفين، أو وجود أيسر أدوات التعليم كاللوح والدفاتر؟! مع كل ذلك، تعلم ما تعجز عن تعليمه أكبر جامعات العالم المعاصر، في الظروف نفسها!

٤. هل هنالك دليل على أن محمد صلى الله عليه وسلم لم يكن يتكلم بتلك الكلمات المعربة قبل النبوة، ثم صار يتحدث بها بعد النبوة واللقاء بالمعلمين المزعومين؟

---

(١) هي حوالي خمسين، بحسب ما جاء في الإتقان للسيوطي، ص ٣٣٥.

٥. لو أنك قلت كلمة بلغتك المحكية، ولكنها في الأصل كانت مقترضة من لغة أخرى قبل ولادتك بعقود، هل هذا يعني بالضرورة أنك درست على يد معلمين أجانب؟

فلماذا يلزم محمد صلى الله عليه وسلم بما لا يلزم به غيره؟

٦. سؤال أخير: هل هنالك كلمة واحدة في القرآن الكريم لم يعرف معناها العلماء المفسرون؟

إن جميع منظري قواعد البحث العلمي يتفقون على أن البينة على صاحب الدعوى، فهل هنالك دليل واحد يستدل به على صدق دعوى وجود كلمات في القرآن الكريم يجهل المفسرون معناها؟!

ثانيا: تعليل إثارة كفار قريش لشبهة أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم القرآن عن معلمين من غير العرب:

قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ**﴾ [النحل: ١٠٣].

والسبب الرئيس في ذلك الاختيار الغريب للمعلم الأعجمي المزعوم: هو أن يتقن كفار قريش حبك فرية تلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم عن مصدر بشري، ولذا اشترطوا في معلمه المزعوم ان يكون من سكان مكة؛ ليتحقق زعمهم بتلقي القرآن عنه بكرة وأصيلاً. وأن يكون من غير قومهم وملتهم، ليمكن عندها أن يقال إن عنده علم ما لم يعلموا... والتمسوا الشرطين فلم يجدوهما إلى عند حداد رومي [١].

أيعقل أن يكون القرآن الذي أعجز فصحاء العرب وبلغاءهم مصدره من رومي أعجمي؟!

---

(١) انظر: مدخل إلى القرآن، محمد دراز، ص ١٣٤.

كما لم يكن في مكة من علماء اليهود أحد، قال (إسرائيل ولفنسون): إن القلب لا يطمئن إلى وجود يهود في مكة المكرمة؛ فلو كان كذلك، لكان لهم حي خاص ومعبدهم الخاص... ولا يوجد في المصادر التاريخية ما يشير إلى ذلك [١].

وقد تكررت المحاولات التي قام بها باحثون مستشرقون لإيجاد دليل واحد صحيح مقنع على أي مصدر أعجمي للقرآن الكريم، ولكنها لم تخرج إلا بأن كل تلك الشبهات المثارة مجرد افتراضات بلا دليل.

ومما قيل في ذلك: "إننا مضطرون أن نفترض أن اليهودية والمسيحية قد عرفتا السبيل إلى مكة –التي يعنينا أمرها كثيرا؛ لأن موطن محمد– ومن العسير: أن نظن أنه كان بها يهود أو مسيحيون في عهد محمد، وإلا احتفظت لنا السير بأنباء أكثر إسهابا مما تناهى إلينا" [٢].

ثالثا: من الأخطاء المنهجية النقدية لما ورد في تلك الطعون: أن كتبتها أكدوا أنهم قالوا بنسبة القول بوجود مائة كلمة معربة في القرآن الكريم إلى السيوطي في كتاب الإتقان، دون أن ينقلوا ما جاء في مقدمة كلامه في توجيه قصده بالمعرب في القرآن الكريم، بل غضوا طرفهم عنه، ولو وجدوا في كلامه ما يوافق هواهم، لما قصرت همتهم عن عرضه.

ومما جاء فيه: "من خصائص القرآن على سائر كتب الله تعالى المنزلة، أنها نزلت بلغة القوم الذين أنزلت عليهم لم ينزل فيها شيء بلغة غيرهم، والقرآن احتوى على جميع لغات العرب، وأنزل فيه بلغات غيرهم من الروم والفرس والحبشة شيء كثير.. وأيضا فالنبي صلى الله عليه وسلم مرسل إلى كل أمة، وقد قال تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ**﴾ [إبراهيم: ٤]. فلابد وأن يكون في الكتاب المبعوث به من

(١) انظر اليهودية في بلاد العرب، إسرائيل ولفنسون، ص ٩٥.

(٢) الاستشراف بين الحقيقة والتضليل، إسماعيل علي، ص ١٢٧، ناقلاً عن المستشرق الألماني اليهودي (ولهام رودلف) في كتابه: "صلة القرآن باليهودية والمسيحية" (ولم يذكر الصفحة).

لسان كل قوم، وإن كان أصله بلغة قومه – وقال أبو عبيد القاسم بن سلام [بعد أن حكى القول بجواز وجود المعرب عن الفقهاء، والمنع عن أهل العربية]: والصواب عندي فيه تصديق القولين جميعاً؛ وذلك أن هذه الأحرف أصولها أعجمية –كما قال الفقهاء– لكنها وقعت للعرب فعربتها بألسنتها وحولتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها عربية، ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب، فمن قال: إنها عربية، فهو صادق. ومن قال: أعجمية، فصادق" (١).

هذا الكلام فيصل في جواب تلك الشبهة، ونقض لها من أساسها؛ وبهذا يتبين سبب عدم ذكر أي صفحة من صفحات الإنترنت المثيرة لتلك الشبهات لما قاله للسيوطي –رحمه الله– في مقدمة موضوع المعرب في القرآن الكريم. وهو يفيد بشكل قاطع تأكيد أن كل كلمة مزعوم إدخالها من قبل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، هي في حقيقتها دخلت العربية واستعملتها العرب قبل نزول القرآن الكريم بعقود، كما سيتبين لاحقاً.

وقال الجواليقي: "هذه الحروف بغير لسان العرب في الأصل، فقال أولئك [أي: القائلون بوقوع المعرب في القرآن الكريم] على الأصل.ثم قالت به العرب على ألسنتها، فعربته، فصال عربياً بتعريبها إياه. فهي عربية في هذه الحال، أعجمية الأصل" (٢).

ف"الكلمة الأعجمية إذا عربت فهي عربية؛ لأن العربي إذا تكلم بها معربة لم يقل: إنه يتكلم بالعجمية" (٣). والعرف إذا غلب، نزل اللفظ عليه" (٤).

---

(١) انظر: الإتقان، السيوطي، ص ٣٣١.

(٢) المعرب، الجواليقي، ص ٥٣.

(٣) التلخيص، أبو هلال العسكري، ١/ ٢١٧.

(٤) قاله ابن حجر العسقلاني في فتح الباري ٣/ ٣٧٣.

ولا يعيب اللغة العربية ورود ألفاظ دخيلة إليها، فقد اتفق علماء اللغات على أن كل لغة عظيمة تنسب إلى أمة عظيمة، لابد أن توجد في مفرداتها كلمات دخلتها من أمة أخرى؛ لأن الأمة العظيمة لابد أن تتكامل حضارياً مع غيرها من الأمم، وتتبادل معها المنافع من أغذية وأدوية ومصنوعات، ووسائل تعلم وتعليم... فلابد حينئذ من تداخل اللغات، ولا يمكن أن تستقل وتستغني عن جميع الأمم، فلا تستورد منها شيئاً ولا تصدر إليها شيئاً.

ودليل ذلك: أن لغة سكان أستراليا الأصليين لا تزيد مفرداتها على مائة؛ لأنهم أبعد الناس عن المدنية التي تستلزم مخالطة الأمم الأخرى وتبادل المنافع معها، فكلما عظمت اللغة دلت عظمتها وثروتها ووفرة ألفاظها على مخالطة أهلها لشعوب أخرى واقتباسها منهم، فهي تعطي وتأخذ، وقد أخبرنا القرآن أن قريشا كانت لهم رحلتان، رحلة في الشتاء إلى جنوب الجزيرة العربية –اليمن– ورحلة الصيف إلى الشام، وكانوا تجارا ينقلون البضائع من بلد إلى بلد وكانت مكة مركزاً عظيماً للتجارة قبل الإسلام فكانت تنقل إليها البضائع من الشرق والغرب والجنوب والشمال، فكيف يتصور أن لغة العرب تبقى مغلقة مختوماً عليها لا تخرج منها كلمة ولا تدخلها كلمة؟ (١)

إن تبادل التأثر والتأثير بين اللغات قانون اجتماعي إنساني، واقتراض اللغات بعضها من بعض، ظاهرة إنسانية موجودة في كل اللغات. واللغة العربية ليست بدعاً من اللغات الإنسانية، بل تميزت عنها بالبراعة في تمثل الكلام الأجنبي، ومن ثم صياغته على أوزانها، وإنزاله على أحكامها، وجعله جزءاً لا يتجزأ من أجزائها.

---

(١) انظر: "هل توجد في القرآن كلمات معربة؟، محمد تقي الدين الهلالي، مجلة البحوث الإسلامية، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، عدد ٨، ذو القعدة ١٤٠٣هـ، ص ٢٠٦– ٢١٣.

لذا فإن تسجيل الدخيل كله مستحيل بين أي لغتين، وتزداد شدة الصعوبة للبت في المعرب والدخيل بين اللغات المنبثقة عن اللغة الأعرابية الأم (السامية) (١).

مثلا كلمة (لجام): معرب لفظ (لكام أو لغام) عن الفارسية، جمعت على: (لجم)، على وزن (كتب). وصغرت على (لجيم)، وأتي بالمصدر منها (الإلجام) (٢).

لكن دعوى أن كلمة (لجام) لها أصل فارسي لا يسلم بها، فلم يقبلها أحمد فارس الشدياق حين تحدث عن وجوب التحفظ قبل الحكم بتعريب أي كلمة دون الرجوع إلى الأصول الاشتقاقية والعلاقات الدلالية والحياة الاجتماعية.. لإصدار الحكم الصحيح، قال: "إني لا أنكر أن يكون قد دخل في لغة العرب ألفاظ من لغة العجم، وهي أسماء لأشياء لم تكن معروفة عندهم، كلفظة: "إستبرق" مثلا. إلا أنه ما كان بخلاف ذلك لا يصح أن يحمل عليه، فلا يصح أن يقال: إن اللجام معرب؛ لأن العرب عرفت الخيل وما يلزم لها، قبل جميع الأمم" (٣).

ولم يزعم أحد أن الألفاظ التي تدخل لغة ما، ثم تحورها على كيفية النطق عندها، وتجري عليها قوانين لغتها، ويستعملها أبناؤها استعمال غيرها من المفردات لم يزعم أحد أن البليغ إذا أوردها في كلامه، أنها ستكون محل سخرية من الآخرين، أو تحط من فصاحة اللسان، أو تنزل بالكلام عن مرتبة سمو البيان.

(١) انظر: تفصيل الأدلة والأمثلة على ذلك في كتاب: كلام العرب، حسن ظاظا، ص ٥٧- ١٠٠. وكتاب: فقه اللغة العربية، مجد الباكير، ص ٨٩- ٩٤.

(٢) انظر: المعرب في القرآن الكريم، محمد بلاسي، ص ١١٣.

(٣) لغة القرآن، أحمد مختار، ص ١٢٢، وانظر معنى (لجام) في اللغات السامية في كتاب: معجم مفردات المشترك السامي، حازم علي، ص ٣٤٦.

هذه الألفاظ تنصهر داخل اللغة مع مرور الزمن، ثم تندرج في ثقافة الأمة التي استقبلتها دون أن يعلم أكثرهم أنها دخيلة قبل عقود وقرون من السنين المتطاولة، وحتى المتخصص باللغة يجد صعوبة بالغة في استخراجها.

ومن مسوغات وجود ألفاظ غير عربية الأصل والنشأة في اللغة العربية :أن الله –سبحانه وتعالى– قد تكفل لسيدنا إبراهيم –عليه السلام– أن يجيب دعاءه حين ترك ابنه إسماعيل –عليه السلام– وأمه هاجر في مكة المكرمة، ومما طلب سيدنا إبراهيم –عليه السلام–: أن يجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم، وتقصدهم لتؤنس وحشتهم، وهذا الدعاء وارد في قول الله تبارك وتعالى: ﴿**رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ**﴾ [إبراهيم: ٣٧]. فمن المؤكد: أن الأقوام الذين هوت أفئدتهم إلى مكة المكرمة حملوا معهم إلى مكة المكرمة أسماء أدواتهم ولباسهم ومزروعاتهم، ثم انتشرت تلك الأسماء واستفاضت شهرتها.

والألفاظ المعربة الموجودة في القرآن الكريم، كانت قد دخلت العربية قبل نزوله بمئات السنين، فأصبحت فصيحة من صميم اللسان العربي، تكلم بها بلغاء العرب وفصحاؤهم، وما دامت فصيحة، فنزول القرآن الكريم بلسان العرب، يقتضي بشمولها في ثناياه، ويعاب عليه إن لم يشملها [١].

لذا، ليس في القرآن الكريم كلمة أعجمية باقية على عجمتها البتة، فكل ما في القرآن الكريم من الكلمات تنطق به العرب وتفهمه، وهو جار على سنن كلامها.

ووجود كلمات قليلة في القرآن الكريم ثبت أن أصولها البعيدة أعجمية، لكن العرب أدرجتها في كلامها فاشتهرت، وانتشرت، واستعملتها زمنا طويلا، لا يمنع من القول: بأن كل ما في القرآن الكريم عربي

---

(١) انظر تفصيل الأدلة على ذلك: المعرب في القرآن الكريم، محمد بلاسي، ص ١٢٥– ١٣٤.

من جهة الوصف والوضع الآن، لا من جهة أصل النشأة والاشتقاق، ويكفيه أن تلك الكلمات تعرفها العرب بلا لبس.

وينبغي التنبيه إلى خلو القرآن الكريم من تراكيب، أو جمل، أو أشباه جمل، غير عربية. فكل ما ذكروه من المعرب، مجرد لفظ لأدوات حسية ليست معنوية. وحتى تلك الألفاظ النادرة، لم يتنزل القرآن الكريم بها، إلا بعد أن استعملتها العرب ردحاً من الزمان، وبعد أن قاموا بتشذيبها، وتهذيبها، وصبغها بالصبغة العربية الخالصة (١).

صارت عربية؛ لأن الكلمات التي في أصولها أعجمية، أخذها العرب واستعملوها، فعربوها بألسنتهم... ثم نزل بها القرآن بعد أن اختلطت بكلام العرب في أشعارها ومحاوراتها، وجرت مجرى العربي الصحيح.. ومن ثم، وقع بها البيان، ونزل بها القرآن (٢).

وفي الجدول الآتي أمثلة لبعض الكلمات التي دخل العربية قبل نزول القرآن الكريم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بدليل ورودها في الشعر المتداول بين الناس قبل انتشار الإسلام، وتم أخذ الكلمة من كتاب المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب للسيوطي، والشاهد على معرفة العرب به ورد في إجابات ابن عباس –رضي الله عنهما– على أسئلة نافع بن الأزرق (٣).

---

(١) انظر: قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، فضل حسن عباس، ص ٩٤.

(٢) انظر: إتحاف ذوي البصائر بشرح روضة الناظر، علي النملة ٢/ ٦٤٢.

(٣) هو نافع بن الأزرق الحروري: من رؤوس الخوارج.. وإليه تنسب طائفة الأزارقة، وكان قد خرج في أواخر دولة يزيد بن معاوية.. وكان إمام سوق الأهواز، ويعترض الناس بما يحير العقل في الناس..كان يطلب العلم وله أسئلة ومناظرات مع ابن عباس –رضي الله عنهما– قتل سنة (٦٥) هـ. انظر: لسان الميزان، ابن حجر ١٤٤/٦ (٥٠٦). وتم الرجوع إلى كتاب "الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق" لعائشة بنت الشاطئ، في أخذ موضع الشاهد الشعري لابن عباس– رضي الله عنهما.

الصفحة	الشاهد من أقوال بلغاء العرب	الكلمة ومعناها
٤٦٠	حسان: لعمرك إن إلك من قريش كإل السبق من رأل النعام	إل (رحم)
٣٧١	الأعشى: لا نقيهم حد السلاح ولا نأ لم جرحاً، ولا نبالي السهاما	أليم (موجع)
٤٧٢	الأعشى: فإني وما كلفتموني من أمركم ليعلم من أمسى أعق وأحوبا	حوب (إثم)
٤٣٢	لبيد، فتوسطا عرض السري وصدعا مسجورة متجاوزا أقلامها	سري (نهر صغير)
٣١٦	أبو سفيان: يدعو إلى الحق لا يبغي به بدلاً يجلو بضوء سناه داجي الظلم	سنا (ضوء)
٣٤٧	أبو محجن: قد كنت أحسبني كأغنى واحد قدم المدينة عن زراعة فوم	فوم (حنطة)
٣٦١	الأعشى: ولا الملك النعمان يوم لقيته بأمته يعطي القطوط ويطلق	قط (نصيب)
٤١٢	حسان: والناس ألب علينا فيك ليس لنا إلا السيوف وأطراف القنا وزر	وزر (ملجأ)
٣٧٩	لبيد: وما المرء إلا كالشهاب وضوئه يحور رماداً بعد إذ هو ساطع	يحور (يرجع)

جدول رقم (١) أبيات من الشعر القديم ورد فيها بعض المعرب المزعوم

رابعا: ليس كل ما قيل: إنه معرب يعد معرباً حقاً كذلك على التحقيق، حيث تعود اللغة العربية وأكثر تلك اللغات المزعوم وجودها في القرآن الكريم إلى أصل واحد، فقد ذكر الباحث أحمد عثمان في كتابه:في

"الشعر الجاهلي واللغة العربية" أن أحدث الدراسات الأثرية والتاريخية واللسانية أكدت وجود لغة سامية مشتركة بين شعوب ممالك الهلال الخصيب ومصر، منذ القرآن الرابع عشر قبل الميلاد واللغة العربية الفصحى –التي أصبحت اللغة الأدبية للجزيرة العربية– منبثقة من تلك اللغة.. والخلاف بين لهجاتها كان خلافاً في لفظ الكلمات المكتوبة فقط (١).

والكتاب كله في الرد، بالأدلة العلمية، على ما أثاره المستشرق (مرجليوث) وتلميذه طه حسين، ومن بعدهما لويس عوض، من شبهات حول أصالة مفردات اللغة العربية.. يريدون منها إثبات أن: "اللغة العربية ليست عربية"!

وخلص بعد تلك الأدلة إلى النتيجة التالية: "العبرانية والسريانية والكلدانية ولهجات الآراميين كلها عربية.. ويمكننا القول –نتيجة للاكتشافات الأثرية الحديثة– بأن كلمة (سامية) هنا تعني: (عربية)" (٢).

ومن المفيد: تأمل ما قاله عمر فروخ: "إن اللغة العربية وأخواتها البابلية والآرامية والكنعانية والعبرية والحبشية وغيرهن يرجعن إلى أم واحدة، كان علماء اللغة الغربيون قد سموا تلك الأم: اللغة السامية وكان زكي النقاش قد اقترح أن يقول: (اللغات الأعرابية) مكان (اللغات السامية) وهو على حق؛ لأن أصل هذه اللغات من شبه جزيرة العرب، والأعراب –أو أهل البادية– هم أهل اللغة الفصحى الصحيحة" (٣).

---

(١) انظر: في الشعر الجاهلي واللغة العربية، أحمد عثمان، ص ٧٤.

(٢) انظر: المرجع ذاته. ص ٩٣.

(٣) الترجمة أو نقل الكلام من لغة إلى لغة، عمر فروخ، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، المجلد الرابع والخمسون، الجزء الثالث، تموز ١٩٧٩م، ص ٦١١ حاشية ١ (بتصرف يسير). وهذا المصطلح الذي ارتضاه زكي النقاش ومن بعده عمر فروخ هو المعتمد في هذه الدراسة.

وقد احتفظت اللغة العربية بكثير من الأصول السامية القديمة (اللغة الأعرابية) في مفرداتها وقواعدها، ولا تكاد تعدلها في ذلك أية لغة أخرى، ويرجع السبب في ذلك إلى نشأتها في منطقة منعزلة، فقلت بذلك فرص احتكاكها باللغات الأخرى، ولم تذلل لها سبل كثيرة في البعد عن أصلها القديم (١).

قلت [الباحث]: يمكن الاستدلال على الأصل الواحد للغات المنبثقة من اللغة الأعرابية الأم بحديث طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم من زيد بن ثابت رضي الله عنه أن يتعلم العبرية، فتعلمها في نصف شهر (٢).

ووجه الدلالة منه: أن سرعة تعلم زيد –رضي الله عنه– للعبرية دليل على أن ألفاظ اللغة العبرية ما هي إلى تحوير لألفاظ ذات أصول عربية، ولا تحتاج حتى تفهمها إلا إلى حس لغوي، وقدرة على استيعاب كم من ألفاظ لغتنا العربية، بل تستطيع القول: إن العبرية لهجة من لهجات العربية (٣).

وكان أول من أطلق على الأصل الواحد المشترك بين كل تلك اللغات لقب: (اللغة السامية) هو المستشرق الألماني (شلوتزر)، حيث قال:"من المتوسط إلى الفرات، ومن بلاد النهرين إلى شبه جزيرة العرب تسود –كما هو معروف– لغة واحدة، وعليه فالسوريون والبابليون والعبريون والعرب كانوا أمة واحدة، والفينيقيون والحاميون –أيضا– تكلموا بهذه اللغة التي أود أن أدعوها السامية" (٤).

---

(١) انظر: فقه اللغة ، علي عبد الواحد وافي، ص ٥١.

انظر:سير أعلام النبلاء، الذهبي ٤٢٩/٢.وحسن إسناده شعيب الأرناؤوط عند تخريجه للحديث في هامش السير فقال : إسناده حسن .وانظر:سنن أبي داود (٣٦٤٥)، والترمذي (٢٧١٦)، وأحمد ٥ /١٨٦ ،والطبراني (٤٨٥٦).

(٢) انظر: العبرية لهجة عربية عادية، سلامة سليم سلامة يوسف، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح، نابلس/ فلسطين، ص ٢٢.

(٣) انظر: معرب القرآن عربي أصيل، جاسر أبو صفية، ص ١٢. ويلاحظ –هنا– أن المستشرق قام بفصل الكنعانيين والفينيقيين عن الساميين، وهذا يخالف التاريخ، ويبدو أنه من باب التعصب والنظرة الدونية للعرب (والله أعلم)، انظر تفصيل نقد ذلك في كتاب: أسطورة النظرية السامية، توفيق سليمان، دار دمشق للطباعة والنشر، ط ١، ١٩٨٢.

(٤) انظر: معجم الحضارات السامية، هنري س. عبودي، ص ٤٦٤.

وتتميز الكلمات ذات الأصل الأعرابي عن باقي لغات العالم التي لها الأصل نفسه (كالهند–أوروبية) بأن اشتقاق الكلمات فيها أكثر وضوحاً، فغالبية كلماتها لها جذور ثلاثية، والأحرف الصامتة تشكل العناصر الأساسية في الجذور، وهي ترتبط بالفكرة العامة للكلمة، واحتواء أفعالها على صيغتين زمانيتين –فقط– هما: الماضي (لما تم انجازه)، والمضارع (لما هو قيد الانجاز أو سينجز لاحقاً)، وتتميز –أيضاً– جميعها بقابليتها على إضفاء المعاني المجازية على الكلمات (١).

وتناولت دراسات لعدد من الباحثين غير العرب والمسلمين الإشارة إلى وجود لغة أم جامعة لكل تلك اللغات الأعرابية، منها: ما ورد في كتاب تاريخ اللغات السامية (لإسرائيل ولفنسون): "والواقع أنه ليس أمامنا كتلة من الأمم ترتبط لغاتها بعضها ببعض، كالارتباط الذي كان بين اللغات السامية" (٢). وهذا يدلنا على كثرة الجذور اللغوية المشتركة بين عائلة اللغات الأعرابية. فإذا علمت أن العربية والعبرية من أشدها تشابهاً –إن لم يكونا أشدها على الإطلاق–، علمت كثرة الجذور اللغوية التي تشتركان فيها.

والتشابه يتعدى الجذور المجردة إلى التشابه في الكلمات بعينها، يقول (ولفنسون): "هناك كلمات مشتركة في جميع اللغات السامية، يرجح أنها كانت مادة من اللغة السامية الأصلية" (٣).

هكذا يفعل (ولفنسون) عند وجود كلمات عربية لها شبيه في العبرية، فإنه ينسبها إلى الأعرابية الأم (التي يسميها: السامية)، ولا ينسبها –كما يفعل مثيرو الشبهات– إلى العبرية.

ويقول أكثر من ذلك: "يجب ألا يبالغ الباحث في مسألة تأثير الآرامية والعبرية في العربية الشمالية، إذ ينبغي أن يحترس من الخطأ في نسبة بعض الكلمات العربية إلى إحدى أخواتها السامية، ظناً منه أنها منقولة

---

(١) ص ١٠، ثم ذكر ص ١٣: "العالم (أولسهوزن) يقول في مقدمة كتابه عن اللغة العبرية: إن العربية هي أقرب لغات الساميين إلى اللغة السامية القديمة، وأيد رأيه هذا بجملة أدلة، ارتاح لها كثير من علماء الإفرنج".

(٢) المرجع نفسه، ص ١٤.

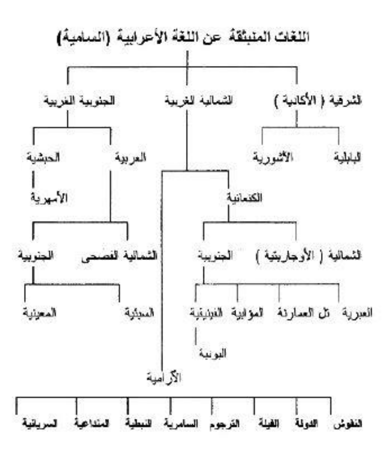
(٣) المرجع نفسه، ص ٨٦.

منها، فقد يوجد عدد كبير من الألفاظ له رنة آرامية أو عبرية، وهو في الواقع كان يستعمل عند العرب قبل أن يحدث الاتصال بين هذه اللغات.. ووجود تشابه في ألفاظ وأساليب لا يدل في كل الأحوال على اقتباس، بل إثبات اقتباس يحتاج إلى أدلة أخرى غير التشابه، وقد غفل بعض كبار المستشرقين عن هذه النظرية، فوقعوا في أغلاط كثيرة، أخذها عنهم صغار الباحثين بدون روية، وقلدوهم فيها تقليداً مطلقاً" (١).

بينما يرى حنا فاخوري أن "اللغة العربية هي إحدى هذه اللغات السامية، وقد بقيت أقرب تلك اللغات إلى الأصل —وإن كانت أحدثها نشأة وتاريخاً— وذلك لاحتباس العرب في صحرائهم، واعتصامهم بها دون سائر الشعوب، فلم تتعرض لما تعرضت له اللغات السامية الأخرى من اختلاط" (٢).

لذا، فـ"السامية لا تعني جنساً، بل صفة أطلقت على مجموعة من لغات الشرق الأوسط، سواء ما اندثر منها أو ما بقي مثل: العربية، والأكدية، والفنيقية، والآرامية، والعبرية، والحبشية" (٣).

وانظر الشكل رقم (١):



شكل رقم (١) اللغات واللهجات المنبثقة من اللغة الأعرابية (١)

---

(١) في كتابه: تاريخ الأدب العربي، ص ٢٠. ويجدر التنبيه إلى أنه إن كان يقصد بالعربية الفصحى القياسية الحالية فكلامه صحيح، أما إن كان يقصد الأعرابية فكلامه غالط.

(٢) إسرائيل حرفت الأناجيل واخترعت أسطورة السامية، أحمد عبد الوهاب، ص ٨٦.

(٣) انظر: معجم مفردات المشترك السامي، حازم علي، ص ١٥.

وبسبب الإسلام: استمرت اللغة العربية القياسية وانتشرت، بينما اضمحلت باقي اللهجات الأعرابية أو تكاد [٢].

بل هنالك دراسة تؤكد أن العربية هي أصل اللغات جميعا، وعنوانها: "اللغة العربية أصل اللغات كلها" لعبد الرحمن أحمد البوريني [٣]، وقد جعل نصفها دراسة تطبيقية تؤكد صحة نظريته، وهي دراسة تستحق النظر، فإنها إن ثبت صدقها علمياً، ستشكل رداً قوياً على كل من يثير الشبهات حول أصالة اللغة العربية، وعلاقتها بغيرها.

ولكن الرأي العلمي الموضوعي في هذه المسألة هو صعوبة ترجيح أي اللغات أقرب إلى الأعرابية الأم، هل هي الآشورية أم العربية أم العبرية..؛ لأن اللغات المنبثقة عن اللغة الأعرابية قد اجتازت مراحل كثيرة في التطور قبل أن تصل إلى الحالة التي أتيح العلماء معرفتها، فبعدت بذلك كل لغة منها من النقطة الأولى التي ابتدأ منها تطورها.

غير أن اللغة العربية قد احتفظت بكثير من الأصول الأعرابية (السامية) القديمة في مفرداتها وقواعدها، ولا تكاد تعدلها في ذلك أي لغة أخرى؛ لأنها نشأت في أقدم موطن للساميين، ولبقائها في منطقة منعزلة؛ فقلت بذلك فرص احتكاكها باللغات الأخرى [٤].

وضرب حسن ظاظا مثالاً على احتفاظ اللغة العربية ببعض مزايا اللغة الأعرابية دون باقي اللغات، وهو حرف (الضاد) الذي كان موجوداً فيها، واختفى في اللغات الأخرى. فمثلاً كلمة (أرض) بالعربية، تنطق بالعبرية (أرص) بالصاد، وفي البابلية (أريستو)، وفي الحبشية (أرد)، وفي الآرامية (أرعا) [١].

---

(١) انظر: معجم الحضارات السامية، هنري س. عبودي، ص ٤٦٤.

(٢) طبعته دار الحسن، عمان، ط ١، ١٩٩٨م.

(٣) انظر: فقه اللغة العربية، مجد الباكير، ص ١٠٥.

(٤) انظر: كلام العرب، حسن ظاظا، ص ٢٩.

وبإلقاء نظرة على صفحات كتاب: "معجم مفردات المشترك السامي" لحازم علي كمال الدين، يتبين الأصل الواحد بين اللغات التي أطلق عليها اسم "سامية"، انظر الشكلين: (٢) و(٣).

• أب >abb : "مَرْعى أو عُشْب" :
في العبرية אֵב >ēb̲ "أخضر"،
وفي الآرامية אִנְבָּה >inbē بمعنى (ثمرة)،
وفي السريانية ܐܶܒܳܐ >ebbā (ثمرة).

• أب >abun "الوالد" : في الحبشية አብ >eb
وفي العبرية אָב >āb̲، وفي الآرامية ܐܰܒܳܐ >ab̲ā [(٨)]
وفي السريانية ܐܰܒܳܐ >abbā، وفي الآشورية >abu،
وكلها بمعنى "الوالد".

شكل (٢) الصفحة الأولى من كتاب: معجم مفردات المشترك السامي

• يَمين yamīn : (اليمين / اليد اليمنى) :
في الحبشية የማን yemen بمعنى " اليد اليمنى "
وفي العبرية יָמִין yāmīn بمعنى " يَمين "
وفي الآرامية יַמִּינָא yammīnā
وفي السريانية ܝܰܡܺܝܢܳܐ yammīnā بمعنى " اليد اليمنى "
وفي الآشورية >imnu. بمعنى " يَمين ".

• يَوْم yawm : في الحبشية ዮም yām
وفي العبرية יוֹם yōm
وفي السريانية ܝܰܘܡܳܐ yawmā
وفي الآشورية >ūmu .

شكل (٣) الصفحة الأخيرة من كتاب: معجم مفردات المشترك السامي

وهناك خصائص مشتركة تجمع بين تلك اللغات المنبثقة عن اللغة الأعرابية الأم، وصلت إلى عشر خصائص تجمع بينها في الأصوات، والأصول الاشتقاقية، والتراكيب، وأقسام الأفعال، والعطف، وأبرز ما

(١) انظر: كتاب مدخل إلى فقه اللغة العربية، أحمد قدور، ص ٥٢- ٥٦. وكتاب: الساميون ولغاتهم، حسن ظاظا، ص ١٨- ٢٤.

يميزها هو اشتراكها بعدد كبير من الألفاظ، وخاصة الدالة على أعضاء الجسم والطبيعة والحيوانات والنباتات وصلة القرابة والأعداد.. وهذه الخصيصة تؤكد الأصل المشترك بينها [1].

وقبل أولئك الباحثين قرر ابن حزم أن: "من تدبر العربية والعبرانية السريانية، أيقن أن اختلافهما إنما هو -من نحو ما ذكرنا- من تبديل ألفاظ الناس على طول الأزمان، واختلاف البلدان ومجاورة الأمم، وأنها لغة واحدة في الأصل. وإذا تيقنا ذلك، فالسريانية أصل للعربية والعبرانية معاً" [2]. وقال ابن منظور: "كنعان بن سام بن نوح، إليه ينسب الكنعانيون، وكانوا أمة يتكلمون بلغة تضارع العربية" [3].

وبهذا من الممكن القول: إن اللغة الأعرابية هي الأصل، وما تفرع عنها (من عربية وعبرية وسريانية..) ما هي في الأصل إلا لهجات تبع لها، وبما أن أصل اللهجات واحد (وهو اللغة الأعرابية)، فإنه من المتعذر الجزم بتحديد أن كلمة مشتركة (ما) بين لهجات اللغة الأعرابية، هي في أصلها مأخوذة من لهجة أخرى، بل إن الأسلم القول: بأنهن "كلهن أخذنا عن اللغة الأعرابية الأم"؛ بدليل كثرة الاشتقاقات عنها، كما بنيه الشكلان (٢) و(٣).

خامسا: احتمال الخطأ -غير المقصود- في اجتهاد كثير من القائلين بالأصل العجمي لعدد من كلمات القرآن الكريم وارد، وإن كان الثعالبي قد اتخذ منحى آخر باتهام الذين كانوا يتوسعون في ادعاء المعرب والدخيل في اللغة العربية بأنهم كانوا يقصدون ذلك؛ لأنهم قاموا بذلك بسبب التعصب للأصل غير العربي لجنسهم، فقال: "وكانت العرب تلبس العمائم المهراة -وهي الصفر- فزعم الأزهري أن العمائم المهراة كانت تحمل إلى بلاد العرب من هرة فاشتقوا لها وصفاً من اسمها، وأحسبه اخترع هذا الاشتقاق تعصباً لبلده

(١) الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم ١/ ٣٠.

(٢) لسان العرب، ابن منظور ٨/ ٣١٤ (كنع).

(٣) فقه اللغة، الثعالبي، ص ٢٦٧ (الفصل العاشر: في الثياب المصبوغة التي تعرفها العرب)، ووافقه ابن منظور في لسان العرب على معنى: "سام"، انظر ١٢/ ٣١٤ (سوم).

هراة، كما زعم حمزة الأصبهاني أن السام: الفضة (وهو معرب عن سيم)، وإنما تقول هذا التعريب –وأمثاله– تكثيراً لسواد المعربات من لغات الفرس، وتعصباً لهم. وفي كتب اللغة أن السام: عروق الذهب، وفي بعضها أن السامة: سبيكة الذهب" (١).

أما جواد علي فنظر إلى تعليل خطأ كثير من دعاوى دخول ألفاظ معربة إلى لغة العرب بلا مسوغ ولا دليل من زاوية أخرى، فقال: "إن علماء اللغة لم يكونوا على علم باللغات الأعجمية؛ ولذلك لم يتمكنوا من رجع المعربات إلى أصولها الحقيقية، فأخطأوا في ذكر الأصول. ونظراً إلى أن فيهم من كان يتقن الفارسية، فقد رجع أصول كثير من الألفاظ إلى أصل فارسي؛ لأنه وجد أن الفرس نطقوا بها، ولم يعلموا أنهم أخذوها هم –بدورهم– من غيرهم، فصارت من لغة الفرس، أو أنهم وجدوا بعض الألفاظ قريبة من أوزان الفارسية للكلمات، فظنوا أنها فارسية، مع أنها من أصل آخر" (٢).

وعلى كل حال، ففوق كل ذي علم عليم، وقد أخذ تقعيد أسس المنهج النقدي العلمي لعلم اللغات عقودا طويلة حتى استقر؛ ولهذا يعد من العلوم المعاصرة.

وكثير من الكلمات التي حسبها العلماء السابقون معربة، أظهرت الدراسات الحديثة أصلها العربي السامي الأصيل. فالحبشية والعربية لها أصل واحد، وللعربية والعبرية أصل واحد، فالشعوب السامية –ذات الأصل اللغوي الواحد– كلها قدمت من شبه جزيرة العرب، ومثلها اللهجة النبطية: فالنبط أصولهم عربية على الأرجح. ولا يجوز نسيان الأثر اللغوي لحضارة العرب البائدة، التي كانت حضارة كبرى قبل اندثارها –

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي ١٦/ ٣٦٠.

(٢) انظر تفصيل ذلك في كتاب: المعرب في القرآن الكريم، محمد بلاسي، ص ٦٧– ١٠٠.

انظر تفاصيل البحث في أصل كلمة |(غساق) : المرجع السابق ، ص ٢٦٣–٢٦٧

لابن فارس ٥ ٣٢٤ (نسأ).

كما تدل الاكتشافات الأثرية– فمن غير المستبعد أن تكون أدخلت بعض الألفاظ إلى الحضارات المجاورة – كالفارسية– وبعد اندثارها بقيت تلك الألفاظ، فظن الناس أنها ذات أصل غير عربي.

مثلا: كلمة (غساقاً) بمعنى: البارد المنتن، ذكر أكثر العلماء المتقدمين أن أصلها تركي، وبعد التحقيق وفق أسس البحث العلمي الحديث، تبين بالأدلة القطعية أنها عربية أصيلة [١].

ومثلها كلمة "منساة" بمعنى عصا: فهي عربية أصيلة، جاء في معجم مقاييس اللغة: "نسأت ناقتي، رفقت بها في السير، ونساتها: ضربتها بالمنساة: العصا. وهذا أقيس، لأن العصا كأنه يبعد بها الشيء ويدفع".

ولما كان وجود العربية قبل الإسلام وجوداً غير مدون في معاجم، فإن كثيرا من ألفاظ اللغة قد اندثر كثير من الأشعار التي تلاشت لقصور الرواية، وتشتتت القبائل، وضعف الاتصال فيما بينها.. فلولا القرآن الكريم لما بقي من العربية إلا أقل القليل. لذا لا يستبعد أن كثيرا من الألفاظ التي حفظها القرآن الكريم، ولم يعرفها كثير من الناس فظنوها أعجمية، هي عربية في أصلها.

ولو قمنا بجمع الكلمات المزعوم أنها معربة، وأكبر إحصاء لها في المهذب للسيوطي بلغ (١٢٩) كلمة، ثم بعمل نسبة مع عدد كلمات القرآن الكريم من غير المكرر، وهي (١٧٤٥٨) كلمة –بحسب إحصاءات الحاسوب– يكون الناتج: (٩٩,٢٦٢%) عربياً أصيلاً يخلو من أدنى شبهة حول أصله.

كل هذا دون حذف الأعلام وما هو عربي أصيل، دلت الدراسات على أصالته.

وهنا الذروة في الفصاحة بأن يوجد نص عربي محكم، تحدث عن شتى العلوم الدينية، والقضايا الدنيوية، وآيات الله في الأنفس والآفاق، وتنظيم علاقة الحاكم برعيته، وأحكام الأسرة.. عدد كلماته غير المكررة (١٧٤٥٨) كلمة، ولا يوجد فيه سوى "٠,٧٣٨%" من كل ما زعم أنه معرب!

---

(١) انظر: عربية القرآن، عبد الصبور شاهين، ص ٧.

كيف وإن حذف منه ما لا يجوز عده من المعرب؟

نتائج الدراسة:

١. لا يعيب القرآن الكريم وجود ألفاظ معربة فيه.

٢. لا يصح الاحتجاج بالمعرب في القرآن الكريم للاستدلال به على دعوى وجود مصدر بشري من المعلمين الأعاجم.

٣. الألفاظ المعربة الموجود في القرآن الكريم عرفتها العرب قبل نزول القرآن بعقود وقرون.

٤. عدد الكلمات التي قيل: إنها معربة في القرآن الكريم لا تتجاوز (٠,٥%) من مجموع كلماته، فهو بحق ﴿ **لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ**﴾ [النحل: ١٠٣].

التوصيات :

٥. يوصي الباحث الدعاة والباحثين في الشبهات المثارة حول القرآن الكريم بهدف الرد عليها أن يتبينوا أصل الشبهة وحجج القائلين بها، ومن ثم الاستفادة من العلوم ذات العلاقة.

٦. تشكيل لجنة من كبار علماء اللغات المقارنة؛ لتوضيح أصول جميع الكلمات التي قيل: إنها معربة في القرآن الكريم، وبيان حقيقة معناها في اللغات الأخرى.

٧. توجيه اهتمام عدد من الباحثين المسلمين إلى العناية باللغات المنبثقة من اللغة الأعرابية، ومن ثم إثراء المكتبة الإسلامية ببحوث علمية موضوعية حول وجودها في القرآن الكريم من حيث أصل الاشتقاق، والعلاقة بالرسم العثماني.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

١. إتحاف ذوي البصائر بشرح روضة الناظر، عبد الكريم بن علي النملة، مكتبة الرشد، الرياض، ط ١، ٢٠٠١م.

٢. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٣م.

٣. الإحكام في أصول الأحكام، علي بن أحمد الشهير بابن حزم، دار الحديث، القاهرة، ١٩٨٤م.

٤. آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره/ دراسة ونقد، عمر رضوان، دار طيبة، الرياض، ١٩٩٢م.

٥. الاستشراف بين الحقيقة والتضليل/ مدخل علمي لدراسة الاستشراف، إسماعيل علي محمد، دار الكلمة، القاهرة، ط ٣، ٢٠٠٣م.

٦. إسرائيل حرفت الأناجيل واخترعت أسطورة السامية، أحمد عبد الوهاب، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٢، ١٩٩٧م.

٧. الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، دار المعارف، القاهرة ط ١، ١٩٧١م.

٨. إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش، دار ابن كثير، دمشق، ط ٧، ١٩٩٩م.

٩. البرهان في علوم القرآن، برهان الدين الزركشي، تحقيق مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٨٨م.

١٠. تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري، المكتبة البولسية، بيروت، ط ٩، ١٩٧٨م

١١. تاريخ القرآن، تيودور نولدكه، ترجمة وتحقيق: جورج تامر، مؤسسة كونراد، بيروت، ط ١، ٢٠٠٤م.

١٢. الترجمة أو نقل الكلام من لغة إلى لغة، عمر فروخ، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، المجلد الرابع والخمسون، الجزء الثالث، تموز ١٩٧٩م.

١٣. التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، حسن بن عبد الله الشهير بأبي هلال العسكري، تحقيق عزت حسن، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية، ١٣٨٩هـ.

١٤. التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر العربي، ودار الفكر العربي المعاصر، دمشق، وبيروت، ط ١، ١٤١٠هـ.

١٥. جامع البيان، محمد بن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ.

١٦. الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، دار الحديث، القاهرة، ط ١، ١٩٩٤م.

١٧. الحركة الفكرية ضد الإسلام، بركات دويدار، المركز العالمي للتعليم الإسلامي، مكة المكرمة، ط ١، ١٤٠٦هـ.

١٨. دفاع عن القرآن ضد منتقديه، عبد الرحمن بدوي، ترجمة: كمال جاد الله، الدار العالمية للكتب والنشر، القاهرة (د/ ت، ط).

١٩. الرسالة، محمد بن إدريس الشافعي، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ١٣١٢هـ.

٢٠. الساميون ولغاتهم/ تعريف بالقرابات اللغوية والحضارية عند العرب، حسن ظاظا، دار القلم، دمشق، ط ٢، ١٩٩٠م.

٢١. سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٩٩٧م.

٢٢. شرح مختصر الروضة، سليمان بن عبد القوي الطوفي، تحقيق: عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٦م.

٢٣. الصاحبي في فقه اللغة العربية، أحمد بن فارس، تحقيق: مصطفى الشويمي، مؤسسة أ. بدران، بيروت ١٩٦٣م.

٢٤. العبرية لهجة عربية عادية، سلامة سليم سلامة يوسف، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح، نابلس، ٢٠٠٠م.

٢٥. عربية القرآن، عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، المنيرة، مصر، ١٩٩٧م.

٢٦. غرائب اللغة العربية، رفائيل نخلة اليسوعي، دار المشرق، ط ٤، بيروت، ١٩٨٦م.

٢٧. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الفكر، بيروت، ط١ ، ١٩٩٣م.

٢٨. فقه اللغة العربية، لويس عوض، سينا للنشر، القاهرة، ط ٢، ١٩٩٣م.

٢٩. فقه اللغة العربية، مجد محمد باكير، دار مجدلاوي، عمان، ط١، ١٩٨٧م.

٣٠. فقه اللغة وسر العربية، أبو منصور الثعالبي، تحقيق: فائز محمد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٩٩٦م.

٣١. فقه اللغة، علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر للطباعة، ١٩٨٨م.

٣٢. فنون الأفنان في عيون علوم القرآن، عبد الرحمن ابن الجوزي، تحقيق: حسن ضياء الدين عتر، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط ١، ١٩٨٧م.

٣٣. في الشعر الجاهلي واللغة العربية، أحمد عثمان، مكتبة الشروق، القاهرة، (د/ ت، ط).

٣٤. قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، فضل حسن عباس، دار الفتح، عمان، ط ١، ٢٠٠٠م.

٣٥. كلام العرب/ من قضايا اللغة العربية، حسن ظاظا، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٦م.

٣٦. لسان العرب، محمد بن مكرم الشهير بابن منظور، دار صادر، بيروت، ١٩٩٧م.

٣٧. لسان الميزان، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.

٣٨. لغة القرآن/ دراسة توثيقية، أحمد مختار، مطبعة ذات السلاسل، الكويت، ط ١، ١٩٩٣م.

٣٩. لويس عوض ومعاركه الأدبية، نسيم حلمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥م.

٤٠. مجاز القرآن، معمر بن المثنى الشهير بأبي عبيدة، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة (د/ ت، ط).

٤١. المحرر الوجيز، عبد الحق بن غالب بن عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٣م.

٤٢. مدخل إلى القرآن، محمد عبد الله دراز، دار القلم، الكويت، ط ٣، ١٤٠١هـ.

٤٣. مدخل إلى فقه اللغة العربية، أحمد محمد قدور، دار الفكر، دمشق، ط ٢، ١٩٩٩م.

٤٤. معجم الحضارات السابقة، هنري س. عبودي، جروس برس، طرابلس، لبنان، ط ٢، ١٩٩١م.

٤٥. معجم مفردات المشترك السامي في اللغة العربية، حازم علي كمال الدين، مكتبة الآداب، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٨م.

٤٦. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجبل، بيروت، ١٩٩١م.

٤٧. معرب القرآن، عربي أصيل، جاسر أبو صفية، دار أجا، الرياض، ط ١.

٤٨. المعرب في القرآن الكريم/ دراسة تأصيلية دلالية، محمد بلاسي، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، بنغازي، ط ١، ٢٠٠١م.

٤٩. المعرب، أبو منصور الجواليقي، تحقيق: ف. عبد الرحيم، دار القلم، ط ١، دمشق، ١٩٩٠م.

٥٠. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، جامعة بغداد، ط ٢، ١٩٩٣م.

٥١. موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٣، ١٩٩٣م.

٥٢. المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: محمد التونجي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٩٩٥م.

٥٣. هل توجد في القرآن كلمات معربة؟ محمد تقي الدين الهلالي، مجلة البحوث الإسلامية، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، عدد ٨، ذو القعدة ١٤٠٣هـ.

٥٤. اليهودية في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، إسرائيل ولفنسون، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة ١٩٢٧م.